



في ظل صراع الحداثة والأصالة

## هوياتنا في مهب العولمة

هل العولمة خطر يجب  
أن نواجهه بالإحتماء بأسوار  
التراث؟ أم أنها باتت قضية عصر  
يجب أن نريجها من خلال المساهمة  
في بنائها وفق ماتقتضيه  
خصوصياتنا الثقافية  
والحضارية؟



الليبرالية تجرد ذاتها.. والعرب يستهلكون نماذجها القديمة

■ سؤال الهوية وصدمة العولمة ■ الهوية والعولمة: أي تحد؟

■ ثقافتنا العربية والعولمة الثقافية ■ لا هوية دون ديمقراطية وعقلانية

وابتداء كل خصوصي له طموح ومشروعية  
الارتقاء إلى مستوى العولمة لكن المسألة  
تكمن في وسيلة تحقيق هذا الارتقاء؛ هل  
تكون بوسيلة قوة الحججة أم بوسيلة حجة  
القوة.. فإذا كانت الأولى فهي أمر مشروع  
ومستحب بل واجب ومطلوب.. وأما إن كانت  
الثانية فالأمر مردود حتى ولو كان من  
يحمل لواءه حكيماً..

ص 10 يتبع

عن نسبه دون أن يجده، بل وأدنى من ذلك  
لأن الذي يبحث عن نسبه أهون ممن يدفع  
إلى ضياع نسبه.  
والعولمة الثقافية تنطلق في واقع الأمر من  
مسلم ذاتي خصوصي، هذا الخصوصي،  
بحكم أنه صار مسيطراً، يسعى إلى أن يفرض  
نفسه على الآخر إما بحجة القوة أو بقوة  
الحجة.

● إن غياب الدولة ومسئوليتها ليس فقط  
يرهن مستقبلها الاقتصادي والسياسي بل  
ويعمل على مسخ هويتها التي هي محط  
غيرتها وافتخارها وتميزها عن غيرها من  
الدول والشعوب.. فالشعب المسلوب هويته  
فأقل لأصله الحضاري ووطنيته، والفاقد  
لهاتين المقومتين فاقد لوجوده الحقيقي،  
فهو أشبه باللقيط الذي يقضي دهره يبحث

العولمة  
وهي  
التهديب

د. مناد طالب

# العولمة وخطرورة التعذيب

■ د. مناد طالب

جامعة الجزائر

● وتجاوزا لكل ظلم وطغيان، وتحقيقا لمبدأ الحرية المنظمة كان العقد الاجتماعي بين البشر وفق التعاليم الشرعية، أو وفق ما يعتقد فلاسفة العقد الاجتماعي، وتكونت الدولة، وانتظم الجميع في إطار القانون الذي تأسس وصار بموجب الأفراد خاضعين له ومتساوين أمامه في الحقوق والواجبات، فصارت الحرية: ما كان حقا لك فهو واجب على غيرك وما كان حقا لغيرك فهو واجب عليك.

من هنا إذن حصل الفرد على حرية التمتع داخل البلد أو الوطن الواحد: حرية التنقل والاستثمار والإنتاج، وحرية العمل والبيع والإعلام... الخ. غير أن هذا الإنسان لما نظم علاقته مع بني وطنه وتنازل عن إرادته لإرادة القانون وضعيا كان أو شرعا ترسخت له هوية صارت بمثابة الرابطة الروحية والمادي الذي به يتميز عن غيره من بني جنسه الموجودين خارج دائرة وطنه، فامتثلت بذلك لديه الحدود ببعديها الروحي والمادي: فصار أن وجد نفسه في علاقة من نوع آخر، علاقة تتجاوز الحدود الروحية والمادية للبلد الواحد، فكان لزاما عليه أن يقوّن هذا النوع الجديد من العلاقات والأسفط من جديد في الظلم والطغيان.. فكان القانون الدولي وكانت العلاقات الدولية.. وما هذا القانون الدولي وهذه العلاقات الدولية إلا نوع من الحرية المنظمة على نطاق أوسع من نطاق البلد الواحد، وتوسعت العلاقات من داخل البلد الواحد إلى علاقات فيما بين الدول والأمم.. وهكذا كان التدرج من الأسرة إلى المجتمع إلى الدولة إلى ما بين الدول. لكن العالم المعاصر نجده اليوم يظل علينا بمصطلح لم نعهده من قبل، وهو مصطلح "العولمة"، الذي فيما يبدو تولّد نتيجة التطورات البشرية الهائلة والمتسارعة في جميع الميادين وعلى رأس هذه الميادين ميدان التواصل بجميع أنواعه الذي لم يعد أمامه العالم سوى قرية كبيرة إن لم نقل قرية صغيرة، يمكن التنقل في أرجائها، إلى المكان الذي نريد وفي الوقت الذي نريد وبالسرعة التي نريد.

من هنا نجيب في تساؤل: هل يمكن لنا أن نعرف العولمة *Mondialisation* على أنها رفق لتحررات الفرد السياسية والاقتصادية والثقافية.. من مجال الأسرة والمجتمع والدولة أو فيما بين الدول أو المناطق والأمم إلى مستوى العالم بحيث يصير هذا العالم الدول فيه كالألسر والمجتمعات داخل الدولة من قبل، فتدوب بذلك كل الحدود سواء أكانت حدودا روحية أو حدودا مادية، وبذلك ينسحب من قاموس الواقع التنوع في الخصوصية والعادات والتقاليد والمقدسات، فتقتضي بذلك الحضارة الغربية على أتم مصطلح أنجيته وترفعه إلى حد التقديس وهو مصطلح الديمقراطية القائم على أساس التنوع والتعدد في مقابل مصطلح العولمة الأحادي التوجه، ذي المرجعية "البوشية الوبانية" والذي يابى التنوع والتعدد بحكم مستواه العالمي و"الرياني" فضلا على المستويات الإقليمية والدولية؟

لقد ذهب العالم الاجتماعي جاي روشي *Rocher* في مقال له تحت عنوان "العولمة: ظاهرة متعددة" إلى التفريق بين مصطلح العولمة *Mondialisation* ومصطلح التحويل *Internationlisation* وأن هذه الأخيرة تحيلنا إلى التبادلات ذات الأنماط المختلفة: الاقتصادية والسياسية والثقافية فيما بين الدول، وإلى العلاقات التي تنجم، في السلم وفي النزاعات، عن حالات التكامل أو التناقص. ما إذا تحدثنا عن العولمة *Mondialisation* فالمصطلح عنده يوحي إلينا أننا ننتشر حقيقة أخرى، وهذه الأخرى معاصرة، وتعني توسيع هذه العلاقات وهذه التبادلات بين الأمم أو العابرة للأمم إلى المستوى العالمي نتيجة التسارع المتنامي الذي تعرفه الحضارة المعاصرة، والتمازج في النقل والتواصل.

بينما مصطلح الكوننة *Globalisatio* (وهو مصطلح يفضله هذا العالم الاجتماعي)، فهو يحيلنا على مرجعية تتمثل في نظام عالمي هو فوق العلاقات الدولية، وفوق العولمة، فهو حدث اجتماعي كامل باتم معنى الكلمة، فهو مرجع في ذاته.

لاشك أن الإنسان قاوم ولا يزال يقاوم على أن يكون حرا على وجه هذه البسيطة ولا يابى إلا الحرية ذلك لأنه كائن مرادف للحرية وأن المولى عز وجل أرادته كذلك فسخر له الكون وأرسل إليه الأنبياء والرسل دليلا على حريته (و يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) سورة الأعراف الآية 157.



إذن العولمة أو الكوننة هي، في اعتقادنا، هذا الكائن الصغير (الدولة) الذي توسع إلى هذا الكائن الكبير (العالم) أو قل هذا الكائن الكبير (الكون بأرجائه الواسعة) الذي تحول إلى هذا العالم - القرية نتيجة التقارب المائل الذي وقع بين الدول، وهي أي العولمة ظاهرة ذات أوجه متعددة: الوجه الاقتصادي والوجه السياسي والوجه الثقافي.

أوجه العولمة ورهاناتها.

1/ الميدان الاقتصادي.

تزعّم العولمة أن هدفها هو رفع الدول على مستوى نمو عالمي، وهي ترأهن في ذلك على إدخال الدول في اقتصاد سوق حر. فهل تحقق ذلك؟

إن أهم ما تتميز به العولمة هي أنها، في الوقت الراهن، سلّمت العالم الاقتصادي إلى المؤسسات الاقتصادية الكبرى أو إلى المؤسسات المتعددة الجنسيات التي لا يهمها إلا تحقيق المزيد من الأرباح، وهي بهذا تزيد في قوة الجماعات والأفراد الأكثر قوة في مقابل تقويض سلطة الدول والمؤسسات الجموعية بجميع أنواعها الاجتماعية والنقابية. فالإقتصاد لم يعد اقتصادا موحيا ولا متحكما فيه بل أعادنا إلى أجماد المقولة الاقتصادية الشهيرة ل آدم اسميث: "دعه يعمل، دعه يمر" أي حرر الأسواق، حرر التبادل، وإلى نظرية داروين القائمة على: البقاء للأقوى.. إنه اقتصاد السوق الحر، حلم أصحاب الشركات الكبرى والشركات المتعددة الجنسيات المسيطرة بإحكام على الاقتصاد العالمي وسياساته.

هذه الرهانات الاقتصادية الجديدة أفرزت "محاسن" و"مساوئ". أما "المحاسن" فهي زيادة غنى الغني على حساب نهب ثروات الآخر في مقابل ثمن بخس دراهم معدودة في غالب الأحيان، أو الرخاء بجميع أنواعه الذي إن حصل يقتصر على القلة من الناس دون الكثير.. وأما المساوئ فهي كثيرة تدفع ثمنها المؤسسات والجمعيات والأفراد الضعيفة من الناس فتزيدها فقرا إلى فقر ومأساة إلى مأساة. فهي تعمق شرخ اللامساواة بين أفراد البلد الواحد كما تعمقه بين البلدان، وتعميق النمو الاجتماعي وتهدد مستوى المعيشة والنشغل. فكم من مؤسسات وشركات أفلست وأغلقت أبوابها وأحيل عمالها على بطالة قاتلة لا لشيء إلا لأنها ليست في مستوى المنافسة ولا هي تملك وسائل التمكين للمنافسة، وفوق هذا وذلك فهي تفتقر إلى من يحميها من هذه المنافسة غير العادلة أو يرفعها إلى مستوى المنافسة النزيهة. ونتيجة لهذه الشراسة التي حملتها إلينا هذه

التوازن المطلوب والضروري، ولنا في بعض الدول كالصين مثلا أو ماليزيا نماذج ناجحة استطاعت أن تحقق هذا النوع من التوازن بين السياسي والاقتصادي. فتوحش الاقتصاد وتراجع الدور السياسي نذير شؤم ليس له نافذة إلا على الأزمات والأمراض والآفات الاجتماعية بجميع أنواعها، وهي مآلات تسلب الدول والشعوب الإرادة والسيادة في القول والعمل. صحيح أن هناك من الباحثين من ينظر في عامل اللامساواة كضرورة في عالم النمو، فهذا أمر نقرّه ولا ينبغي إغفاله، ذلك أن حقيقة الخلق قائمة على التوازن، والتوازن قائم على تسخير البعض للآخر (ورفيعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذب بعضهم بعضا سخربيا) سورة الزخرف، الآية 32.. لكن ليس قائما على استعباد البعض للبعض، ولذا نريده تسخيرا عادلا كل يعمل في مجاله، كل يأخذ حقه كاملا وعلى قدر مردوده أو عمله قبل أن يجف عرقه مثلما أمرنا الحبيب المصطفى القائل أو كما قال: "أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه"، وهذا بعد اجتماعي نسبة تحقيقه تخضع للبعد الذاتي - الأخلاقي في المجتمعات، وفيه تتنافس هويات الشعوب الروحية أكثر مما تتنافس فيه مادياتها. فالدولة إذن مطالبة بعملية التكيف مع الوضع بأن تجعل سياستها تواكب سير العولمة الاقتصادية جنباً إلى جنب وبذلك تسجل حضورها الدائم في الساحة الاجتماعية وتقوم بعملية التقويم والتهذيب دون انقطاع تراعي في ذلك كله البعد المادي أي الاقتصادي وتحرص كل الحرص على مصالح الأمة، والبعد الروحي أي ما يضمن هوية الأمة من المساس أو التعاطب بها بل وأن تجعل منها رفقا فعلا في مجال العولمة لا مجرد معقول به فيرتفع بذلك أفراد الأمة إلى أن تكون نظرتهم ذات نظرة اقتصادية موجهة نحو الخارج أي العمل على كسب رهان المنافسة التي تقتضي الجودة العالمية في العمل والإنتاج، ونحن أمة كان عليها أن تكون على المثال الذي أو صاها به سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم لما قال: "من عمل منكم عملا فليتكفه". وهذه معركة محكوم علينا خوضها ومحكوم علينا ربحها لأن المسألة كل المسألة، كما يقول شكسبير، هي "أن تكون أو لا تكون".

لكن هذه المعركة ينبغي التحضير لها ورعايتها حتى يشتد ساعدها وإلا لا تقوى على المنافسة ولا على الاستمرارية، وهنا تكمن مهمة الدولة وعليها القيام بها كاملة ودون تردد أو خذلان، فيكون بذلك الاقتصاد في خدمة المجتمع وليس العكس لأن رأس المال الحقيقي هو المجتمع المنتج وليس توفير منتجات الشركات الكبرى المتموتحة التي تعمل على أن تبقى دائما هذه الدول الضعيفة مجرد أسواق استهلاكية وأقل دليل على ذلك أن الدول المصنعة تآبى الاستثمار في المشاريع الحقيقية ونقل تكنولوجياتها إلى هذه الدول خوفا من أن تستقل بذاتها وتحوّل إلى منتج منافس ومصدر بعد أن كانت مجرد سوق استهلاكية.

ج/ الوجه الثقافي والعولمة.

أما في المجال الثقافي فالأمر أخطر ذلك لأن غياب الدولة ومسؤوليتها ليس فقط يرهن مستقبلها الاقتصادي والسياسي بل ويعمل على مسخ هويتها التي هي محط غيبتها وافتخارها وتميزها عن غيرها من الدول والشعوب.. فالنشعب المسلوب هويته فائد لأصله الحضاري ووطنيته، والفاقد لهاتين المقومتين فائد لوجوده الحقيقي، فهو أشبه بالقطب الذي يقضي دهره يبحث عن نسبه دون أن يجده، بل وأدنى من ذلك لأن الذي يبحث عن نسبه أهون ممن يدفع إلى ضياع نسبه.

والعولمة الثقافية تنطلق في واقع الأمر من مسلم ذاتي خصوصي، هذا الخصوصي، بحكم أنه صار مسيطرا، يسعى إلى أن يفرض نفسه على الآخر إما بحجة القوة أو بقوة الحجة. وابتداء كل خصوصي له فروع ومشروعية الارتفاع إلى مستوى العولمة لكن المسألة تكمن في وسيلة تحقيق هذا الارتفاع: فالأمر لا يكون بوسيلة قوة الحجة أم بوسيلة حجة القوة.. فإذا كانت الأولى فهي أمر مشروع ومستحب بل واجب ومطلوب.. وأما إن كانت الثانية فالأمر مردود حتى ولو كان من يحمل لواءه حكيما..

# سؤال الهوية وصدمة العولمة

• أين مكانتنا نحن في الجزائر من هذه النقاشات الفكرية حول إيجابيات العولمة وسلبياتها على هويتنا الثقافية ؟ وهل سؤال " الهوية " مطروح عندنا بنمط الصيغة لدى أشقائنا العرب ؟ أم يختلف عنهم ؟ هل مفهوم " الهوية " عندنا يماثل المفهوم عندهم ؟ أم هناك فهم آخر عندنا تركز بضلع عوامل تاريخية وإقليمية وحتى سياسية ؟

## ■ بشير خلف

### نحن وأسئلة الذات المتفحرة :

● ليسمح لي القارئ الكريم أن أتوقف عند بعض المحطات كي أستند إليها في الإجابة عن الأسئلة السابقة ، باعتبارها ذات تأثير ميداني في تشكيل هويتنا في تاريخنا المعاصر القريب وبخاصة المحطة الأولى .  
 1) جاء في مقررات اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني في دورتها الخامسة المتعددة في أواخر شهر ارجوان 1981 ، في ملف الثقافة الوطنية ما يلي : (إن الثقافة ذات مدلول شامل يغطي الجوانب المختلفة لحياة الإنسان الروحية والفنية والمادية ، وما ينشأ عنها من تفاعل . كل ذلك في بيئة معينة من ضروب المعيشة ، وأساليب التعامل ، وأنماط السلوك والتصرف . فالثقافة الوطنية بهذا المفهوم ، إنما هي نظرتنا إلى الحياة وتفسيرنا للوجود ونضالنا عبر التاريخ وتصورنا للقيم والعلاقات الاجتماعية . ولذلك فإننا نعد جزءا من ثقافتنا الوطنية كل ما انتجناه عبر العصور من فكر وفن ، وما أنتجناه من عمران ، وما صنعناه من أدوات ، وما استعملناه من أزياء الملابس ، وما توارثناه من عادات وتقاليد في شتى المجالات .  
 إن دعائم ثقافتنا الوطنية هي نفس الدعائم التي تنهض عليها شخصيتنا الوطنية ، أي ديننا الإسلامي ، ولغتنا العربية وتاريخنا بكل مراحله . )

ولمّا نتابع مضمون هذا الملف الثري والهام جداً نجد تحديدا دقيقا لمفهوم الثقافة وهو تحديداً لا يختلف عما هو سائد حالياً عندنا : (ولكن الثقافة الوطنية رصيد من الفكر والفن والقيم يتطور مع الأجيال ، ويتلاءم مع متطلبات كل عصر ، ولذلك فإنه يتعين علينا أن نجعل من ثقافتنا اليوم مرآة لحياتنا الحالية ، نتعكس كل ما فيها من أنواع الجهاد لتحقيق الذات ، ومحاربة الظلم والعدوان وصنع التقدم الاجتماعي والتضامن مع القضايا الإنسانية العادلة ، والتفاعل الخلاّق مع الثقافات المعاصرة ، كما تستوعب كل مظاهر التعبير عن العواطف السامية والإحساس بالجمال والتفاعل مع الطبيعة 1 .  
 وبذلك تستجيب ثقافتنا لكل التطلعات ، وتتمثل كطب القيم التي تتيح لها السعي الإيجابي إلى تحقيق سعادة الإنسان في حياة تتوازن فيها ، وتنسجم مطالب الروح والعقل والجسد) .  
 إن هذه الوثيقة تغطي الأسبقية للثقافة الوطنية وتؤكد على أن هذه الأخيرة هي التي تجنر الهوية وتؤسس لإبداها الإستراتيجية :  
 (... يجب أن تغطي ثقافتنا الوطنية ثلاثة أبعاد إستراتيجية منها : العمل على تاصيل الهوية الثقافية للشعب ، وذلك بالنظر الشاملة إلى مسيرة حضارته ، والاستقاء الواعي لمكاسبه التاريخية ، ودعم كيانه العربي الإسلامي ، وإحكام تفاعله مع كل امتداداته الحضارية ، وتوظيف إيجابيات تراثه في خدمة وحدته ، وتقوية مناعته ضد الغزو الثقافي والاستلاب الفكري .)  
 2) - الدكتور العربي ولد خليفة في كتابه القيم "الجزائر والمفكرة التاريخية" .

أبعاد ومعالم ، يرى بأن : (مكنت الهوية في هذا الوطن أساس الوحدة وجوهر الوطنية ففي طول الجزائر وعرضها أنماط من القيم والشعائر والسلوكات تتفق في المنبع ، وتتوغل في أشكال التعبير ، تجعل الملاحظ والباحث النزيه يستخلص بسهولة ، أن المضامين الثقافية هي حصيلة لأخذ وعطاء داخل مجموعة سكانية واحدة اندمجت فيها الثقافة العربية الإسلامية والنترات الأمازيغي ، إلى درجة تميزه الجزائري عن غيره ، وجعزله أقرب إلى مواطنه الجزائري من أي شخص آخر .  
 ولا يقتصر التجانس على المقومين الأساسيين : العقيدة والثقافة ، بل يمتد أيضا إلى الجغرافيا والتاريخ والاقتصاد .. من هنا فمكنت "الهوية" لدى هذه الأمة صلب : عقيدة ، ثقافة ، تاريخ اجتماعي مشترك . مما يشكل مرجعية تعني مشتركات الأمة من عقيدة ولغة وارتق ثقافي اجتماعي ، يحدد العلاقات بين الأفراد والجماعات ، ويضع ضوابط السلوك المتمثلة في القيم والمعايير التي تلتزم بها الأغلبية من الناس ، وتعمل على إيصالها إلى الخلف من الأجيال اللاحقة) .  
 لن نتطرق الثقافة الوطنية المشكّلة " للهوية " عندنا ، إلا إذا تحررت من أشكال الضغط والتوظيف السياسي والاستخدام الزائعي للتراث من جهات متعددة ، ما فقتت تطرح إشكاليات" الهوية " انطلاقا من المسألة اللغوية ، وهو طرح مسموم نجني ثماره اليوم في كل مرافق حياتنا بدءا بالنظام التعليمي ، مروراً بإدارتنا ومرافقتنا واقتصادنا ، بل حتى في مناحي الاتصال والتواصل بين الناس سيما في المدن الكبرى الساحلية ، حيث أصبحت المسألة اللغوية مرادفة للهوية ، بل أصبحت شرخا في نسيج مكونات الهوية الثقافية لهذه الأمة .

إن الغيرة على اللغة العربية الواحدة الموحدة ، ينبغي أن لا تقل عن غيرتنا على الأمازيغية بكل لهجاتها ، لأنها جزء من ذاتنا التاريخية والثقافية ، لكن أن تتحول المسألة اللغوية إلى برميل بارود قابل للانفجار في كل مناسبة تثار فيها قضية "الهوية الوطنية" عن حسن نية أو سوءها ، فهذا ما لا يريده أبناء هذا الوطن الفيورين عليه .  
 الخبير القانوني الجزائري عز الدين زعلاني الذي شارك في سنن القانون الأساسي للمحافظة السامية للأمازيغية وكان عضوا فيها ، وعرف بتدخلاته الصحفية التي ساهمت في توضيح وشرح العديد من المفاهيم ذات العلاقة بملف الأمازيغية في الجزائر وشمال إفريقيا ، يحذر هذا الخبير من خطر البلقنة اللغوية في الجزائر التي

● ● ● كيف لا وخالق الخلق يابى الإكراه وأمر جميع الأنبياء والرسول والعقلاء بذلك. وهذا الخاص الذاتي ليس بذلك المتحجر الذي إذا ما بقي على تحجره زال واندثر إنما هو كالكائن الحي يؤثر ويتأثر بمحيطه القريب منه والبعيد.

من هنا نقول أن ما تحمله العولمة اليوم هو خاص "أمريكي" أريد له أن يعولم بحجة القوة وعلى الشكل الذي نريد، ولا يمكن عولمته إلا على حساب باقي خصوصيات الشعوب الأخرى أي على حساب هوياتها المميزة لها. وقد صارت العولمة اليوم واقع يزحف على البشرية، فهل نسلم لهذا الواقع ونقبل بالتحول الذي لن يكون إلا على حساب مسخ هويتنا. أم أننا نتكيف مع هذا القادم الزاحف ونعمل على أن نكون فاعلين فيه ونصيحه بالصيغة التي نريد لا أن يصيغنا بالصيغة التي يريد، وتحت كم هائل من الأعداء المزيّفة وعلى رأسها "الإرهاب" . فالعرب (أمريكا) يصور "الإرهاب" اليوم في شكل مصطلح لقيط لا حد ولا مرجع له ويسمح لنفسه بأن يستمد منه كل مشروع في إيداعه أو ضرب كل من لا ياتمر بأوامره أو يرضخ لمطالبه أو يعارض أو يهدد مصالحه. "فالأمن الأمريكي" في جهة و"الإرهاب" في جهة أخرى، فكل ما يمس "أمن أمريكا" فهو "إرهاب" وعلى المجتمع الدولي أن يكون عصا طائفة في يد أمريكا لمحاربه. فمنايع البترول مثلا حينما كانت فهي "أمن أمريكي" وكل من يفكر في إدارتها أو الاستمرار فيها فهو "إرهابي" أو مع "الإرهاب" ويجب محاربهه..وقد يختلج "الإرهاب" داخل البلد المالك للمنايع البترول، وبحكم محاربة "الإرهاب" يغزى البلد وتنهب موارده بالقوة.

وقد استمد الأمر بـ"العرب" إلى أن صار يتدخل في مناهجنا التربوية على المقاس الذي يريد ومطالبتنا بالنتازل عن مقدساتنا كان تحذف مصطلحات أو آيات من كتابنا العزيز أو التنازل عن وطنيتنا ويوهبنا بأن ذلك جزء من محاربة "الإرهاب" ويتغافل على أن هذا مساس بهويتنا في الصميم وعين الإرهاب. حقيقة المعرفة أو المصلحة مطلقا ليست لها أوطان والمسلم أتى وجدها فهو أحق بها كما أشار إلى ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم لكن مقياس المعرفة أو المصلحة متضمن فيها وليس أت من خارجها. فالمعرفة معرفة والمصلحة مصلحة ليس لأنك أنت الذي تفضي عليها المعرفة أو المصلحة بل لأنها هي التي تعرض نفسها عليك مزودة بادلته، ودورك ينحصر في مجرد الكشف عن هذه المعرفة أو هذه المصلحة بما لديك من عقل يتعرف إلى هذه الأدلة فيقبل بها إن تبين فيها نفع أو يردھا إن تبين فيها غير ذلك.

من هنا فتدخل الدولة بكل حكمة وتدبر أمر هام وضروري فتقبل بما هو عائد عليها بالمصلحة وترد كل ما هو عائد عليها بالمفسدة.. فالخلفي عن مصطلحات من طرف المؤسسات المتخصصة والرسمية وتحت ضغوطات خارجية ليس معناه حل للمشكلة بل دفع بما إلى غير أهل الاختصاص حيث تفرخ المتناقصات والمهلكات فتكون بذلك قد مسسنا نحن بهويتنا من جهة بدلا من أن نصونها وجلبنا الهلاك لوطننا من حيث لا ندري ربما من جهة أخرى...

لكن أخذنا لأمرنا بأيدينا بجعلنا أكثر مسؤولية وأكثر دراية بأمرنا ومصالحنا من غيرنا، وتكون بذلك فاعلين لا مجرد متلقين ولكن بعد ذلك "العولمة" أو "القمرة" (نسبة إلى القمر)... ويكون عندها مجال التدافع قوة الحجة التي تتحني لها رؤوس العقلاء وسليمي القطرة .. فالعامي مع أنه عامي يملك قطرة سليمة وما على العاقل المتفوق إلا أن يكشف الوسيلة السلمية التي بها يدليغ هذا العامي المعد بظفرته لكل منطق سليم ينزل إلى مستوى عقله الذي لا يخلو من استعداد لقبول الحجة... هذه إذن بعض الملاحظات التي أردنا أن نبديةا حول بعض رهانات العولمة وعلاقتها بيوية الدول وشعوبها. فالعولمة ليست كتابا مقدسا لا يتأهيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بل صيرورة تاريخية، وحتى لو سلمنا مع البعض أنها حتمية، فهي غير فاعلة، بل الفاعلون فيها هم الرجال، فكن فيها فاعلا منتجا متحررا للصواب بدلا من أن تعيش على هامش تاريخك وهو يصنع من طرف غيرك على الصورة التي يريدون، وادفع بخصوصيتك لأن تكون هي موضوع العولمة بدلا من تذرف دموعا على ماض فات أو على حاضر تكيهه من غير أن ترفع يدا تدفع بها أنتى هو أتيك من كل حذب وصوب.

أصبح يشار إليها بـ: "أزمة الهوية الجزائرية : حيث يقول في حوار له مع صحيفة الشروق اليومي :  
 (... الخطر يكمن في عدم التفريق بين المنظور اللغوي للهوية ، والمنظور التاريخي والثقافي للهوية . هذا الخلط تكرس في الجزائر بفعل تدني الدولة للطابع اللغوي للهوية . هذا المنظور القديم لنظرية الدولة لأمة المبنية على معادلة : شعب + لغة = أمة ، سقطت تاريخيا بعد أن ساد أوروبا منذ ثلاثة قرون . اللغة صارت وسيلة هيمنة ثقافية وليست مرادفة للهوية مثلها مثل الدولار والأورو . المنظور الغير الصحيح في الجزائر الساري المفعول ، هو الذي أعاق اللغة العربية وأحال بينها وبين أن تترقى منذ أكثر من أربعين سنة . فعوض أن يتجه التعريب نحو الترجمة والبحث والنشر ، اتخذ طابعا إنشائيا مثل مبدأ عروبة الجزائر .  
 نفس المفهوم غير الصحيح يحدث للمسألة الأمازيغية التي هي امتداد تاريخي للشعب الجزائري وشمال إفريقيا ، وهي تهم كافة الجزائريين ، وهذا يختلف مع دعوة البعض الذين يعتبرون "الهوية الأمازيغية" عبارة عن لهجات تخصص الناطقين بها : ونتيجة لذلك فإن الأخذ "بالهوية اللغوية" من شأنه خلق جنسيات لغوية داخل الشعب الجزائري الواحد ، وهذا مرفوض لأنه تجاز لأمة الجزائرية .  
 وللخروج من هذا المازق الخطير ينبغي الرجوع إلى المنظور التاريخي " للهوية " فالجزائري بهذا المنظور لم يتخل عن هويته المتصهرة من آلاف السنين سواء كان يتكلم الفينيقية ، أو اللاتينية ، أو العربية ، أو التركية ، أو الفرنسية ، أو الأنجليزية .. هي خلاصة تكشف اتجاهه المتفتح على العالم دون التحنن عن هويته).  
 إن سؤال "الهوية" في علاقته مع صدمة العولمة التي هزّت كل الكيانات في العالم ولا تزال ، يطرح من خلال برامج المترشحين وكانه قضية داخلية والجزائر تعيش في هذا العالم لوحدها ، ويبدو أنه غاب عن هؤلاء أن تأثيرات العولمة قد استسحت كل المساحات القريبة والبعيدة ، واخترقت كل الهويات القوية والضعيفة ، إلا أن الفارق يكمن في "هوية" قوية منحصنة في موقع الدفاع إن لم نقل الهجوم "هوية" هشّة ضعيفة ، قابلة لضربات التكسير والتفتيت .  
 العولمة تميل إلى إلغاء المبادرات الذاتية للشعوب فلا بد لها من إلغاء الذات نفسها ، وذلك بإلغاء الهوية . فالهوية هي الحصن المنيع للذات هي التي تنتشها وتمنحها التميز والتفرد وتحدد لها الاتجاه في الحياة . الإنسان مشروع وجود وهذا ما تجلّى على مستوى الفرد ، ومستوى الأمة على السواء . الإنسان في صميمه طموح .. حلم .. أمل .

### هوية مجروحة من الداخل

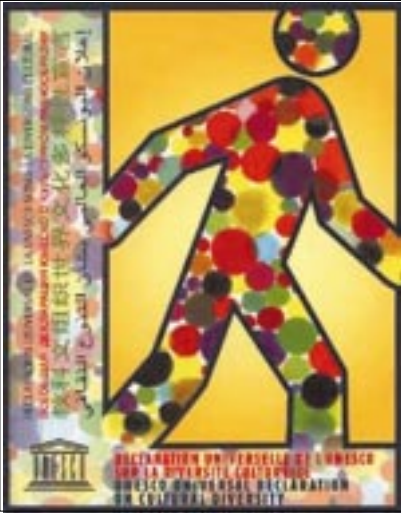
في بلدنا يتم التساؤل خلال السنوات الأخيرة حول "الهوية" الوطنية ضمن إطارين ضيقين ومستويين أحاديين ، فإما أن تفتّح هذه الهوية على الآخر في شكل كامل ومكتمل مع الغرب ، وإما أن تتغلق في إطار محدد وثابت ، مرجعيته الحضارية والثقافية في العالم العربي الإسلامي بين الأتاريخين لم يتبلور بعد خطاب ثقافي جديد يحاول أن يسائل مفهوم "الهوية" عقلانيا بعيدا عن كل تشنج وخارج التبعية للغرب والشرق معا . وتزاد الهوية أكثر كلما تم التلويح بـ"الهوية

اللغوية" التي يراد منها ترميق وحدة هذا البلد جغرافيا من ناحية ، وزرع ذلك في ذهن المواطن بأن هذه هي الحقيقة للخروج من تيه "الهوية" واقعيّا هذا المواطن يتكوي يوميا بنار تبعات هذه "الهوية اللغوية" ليس في إطار العربية الأمازيغية ، إنما في إطار اللغة الأخرى الدخيلة التي تغلغلت في كل المرافق ووسائل الاتصال والتواصل ، وعقدت المواطن الذي لا حول ولا قوة له ، إذ أصبح يتشعر بأن هناك عدواً غير مرئي يترصص به ، ويضيق عليه حياته يوما وكانه قره الذي لا فكاك منه .  
 أزمة "الهوية" ليست ذات تعانين من غزو خارجي عندنا ، ولكن ذات منقسمة على نفسها وتحت عن ذاتها الأخرى المقموعة والتي لن يجرّرها إلا الحوار معها ومع الآخر فعندما يفتّح الآخر على المختلف معه ، وتتأسس فلسفة باكملها تدافع عن وجوده الحي المبدع- هذا المختلف-بين مساحات هذه الفلسفة ، فنحن مطالبون أن نصنت للغرب في تحركاته المعاصرة وتشديد ديمقراطيته على مبادئ من التحاور والتبادل الرمزي الفاتح .ها هنا فقط تتراجع المطلقات لصالح حق الفرد في الحرية والتنشكّل المستقل ، لصالح وعي "هوية" مناهضة للضيق والانغلاق والتعصب ، تستفيد من كل الروافد الحضارية وتستلهم منها روحها المثريثة نحو المستقبل .  
 وبعد : يعتقد أغلب المفكرين العرب والمسلمين أن البعد الثقافي للعولمة هو الأهم والخطر لهما بحوزه من أهمية في بلزورة "الهوية" التي هي مجموعة معالم والثقافة واحدة منها ، فالرد من خلال الثقافة يتعرف على هويته ، والثقافة هي الوصلة للمجتمع ، ممّا يعني أن المساس بأحد عناصر الثقافة أو التأثير عليها هو مساس بـ"الهوية" .

البعد الثقافي لهما يمثله من تحد كبير على العالم العربي الإسلامي الذي تعيش بلدانه حاليا غيبوبة ثقافية ، وتستنزف قواها-إزكان لها قوى-في دائرة من اللغو ، واللغو المضاد .وكان الأمر لا يعنيهنا.

وحسب أغلب المفكرين وحتى الباحثين في كل مناسبة تثار فيها قضية "الهوية" سيؤدي إلى الارتداد نحو التنشيط بالثقافة و "الهوية القومية" ، غير أن المعركة ستكون خاسرة ما لم تتحول مقاومة سلبيات العولمة إلى مقاومة عقلانية ، إيجابية تتسلح بذوات ثقافة العولمة نفسها ، القائمة على أساس اقتصادي علمي تكنولوجي متين .

■ عن "العوازم المتمن" بتصرف



# العولمة ووجه حوار الحضارات

من الصعب تحديد مفهوم العولمة وكذلك مفهوم الهوية، لأن العولمة مفهوم مركب ورائق لا يمكن القبض عليه، فهي تعني أمركة العالم وتعني أيضا فتح الأسواق وخاصة أسواق العالم النامي أمام منتوجات الشركات الاحتكارية الكبرى، وتعني في أحيان أخرى عولمة الثقافة مما يعني أن للعولمة بعدا إيديولوجيا في نهاية الأمر وهو انتصار قيم السوق والفلسفة الليبرالية النضعية على باقي الفلسفات.



حمدي جري

التي تشكل الهوية لدى جميع الشعوب غير أن هذه العناصر لا تمنع الشعوب من أن تتعامل مع بعضها البعض بشيء من التسامح والتناقص. علينا أن نفرق بين الخصوصية والهوية في هذا الصدد فالخصوصية تعني ميزة أو عدة ميزات تتمتع بها فئة أو جماعة دون غيرها داخل شعب أو أمة أما الهوية فتتجمع كل الخصوصيات التي تنشأ عن التنوع الثقافي داخل أمة من الأمم يتحرك أفرادها داخل محيط جغرافي واحد.

نعود لنقول إن العالم في ظل العولمة يتغير بشكل سريع ومذهل من خلال التقدم العلمي والثقافي الذي يقف فيه العالم العربي على العلمي والعلماء وتشجع الأديب الشعبي بدل أدب النخبة وتجشع القراءة ولهمش الكفاءة القادرة على دفع حركة التنمية بشكل جاد وإيجابي لا تميته بدون تنمية الموارد البشرية أردت أن أقول أن الأمة العربية تقف خارج ما يحدث من تحولات عملية وتكنولوجية وتغيرات

استراتيجية برز إثر السقوط المفاجيء للنظام الاشتراكي وانتهاء الحرب الباردة النظام العالمي الجديد أو العولمة التي تهيم فيها أمريكا وخلفاؤها على الاقتصاد العالمي بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية بحيث تسيطر اليوم على مخابر النفط في أكثر الدول إنتاجا لهذه المادة الحيوية التي تعتبر عصب نمو الاقتصاد في العالم. هكذا إذن، فإن العولمة إنتاج أمريكي يعني الهيمنة والسيطرة على منابع الطاقة وعلى الأسواق لمتوجاته ومن هنا يتجلى لنا الدور الأمريكي المهيمن على أنظمة العربية وخاصة منها النفطية التي أصبحت لا تجرؤ حتى على التثديد للتحولات التي تحصل في فلسطين ولبنان من طرف إسرائيل وما يحدث في العراق من مجازر من طرف أمريكا التي حولت المنطقة العربية إلى بؤر للنزاعات والحروب الأهلية والصدامات القبلية من دارفور إلى الصحراء الغربية بالإضافة إلى التوترات الداخلية للدول العربية الناتجة عن البطالة وسوء التسيير والرشوة والظلم الاجتماعي بكل أنواعه وهي كلها أمور ناتجة عن الفساد السياسي الناتج عن الحكم الفردي في الوطن العربي بحيث أصبحنا لا نفرق بين الحكم الملكي والجمهوري والحقيقة أن النظام العالمي الجديد لا يهتم الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي بقدر ما يهتم ثرواته المتعددة المصادر وخاصة الغاز والبتروول.

فالحرب على أفغانستان والعراق هي حرب من أجل مصادر الطاقة وليست من أجل الديمقراطية كما تدعي وما ينبغي أن تلتفت الانتباه إليه في هذه الورقة هو أن أمريكا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وانتهاء الحرب الباردة وسقوط جدار برلين كان لابد لها من خلق عدو افتراضي اسمه الإرهاب الإسلامي والإسلام دين الدول العربية التي تقف على أكبر احتياطي النفط في العالم وباسم الإرهاب تجارب الإسلام بعد أن حاربت الشيوعية وأسقطتها وانتشلت روسيا كقوة عسكرية بترتيب أو وضعها الداخلية المتأزمة، ولم يعد في وسعها أن تقف الند للند أمام أمريكا

لظروف اقتصادية صعبة كادت تؤدي بروسا إلى مجاعة حقيقية بالرغم من ترسانتها النووية وقوتها العسكرية وقد تنازلت عن الكثير من المواقف مقابل قروض من الدول الغربية الراسمالية تجاه العراق الذي كان حيلفها الأول في المنطقة العربية. وإذا كانت العولمة تهدف إلى تحرير التجارة العالمية من الحواجز الجمركية ونشر الديمقراطية وحقوق الإنسان في العالم فإنها في العالم العربي

تنظر إلى المسألة وكأنها لا تعنيها على الإطلاق وتحمل العراق لنشر الديمقراطية وحقوق الإنسان بالرغم من أن الأنظمة العربية لا تتوفر على أدنى شروط الديمقراطية، وتغيب فيها بالمرءة حقوق الإنسان... الإدارة الأمريكية تعرف أن هناك انفصاما حادا بين الشعوب العربية وحكامها وهي تترك تمام الإدراك أن التقريب الأنظمة العربية لن يكون في صالح مصالحها في المنطقة وبالتالي فإن أمريكا تتخذ من الديمقراطية سيف "ديمقليس" أي الورقة التي تلوح بها في وجه ملوك ورؤساء العالم العربي هذا التهديد شكل ابتزازا وتبعية تخدم مصالح أمريكا في العالم العربي لحد الساعة وفي الوقت نفسه ساهم النظام العالمي الجديد الذي ترعاه أمريكا في بعث "الصحة الإسلامية" التي هي في حقيقة الأمر غفوة إن صح التعبير لأن الصحة الحقيقية التي ينتظرها العالم العربي هي الصحة العلمية التي من شأنها تقليص الفرق بيننا وبين الغرب ثم نتج عن هذه الصحة بما يسمى الإرهاب الإسلامي وهو في حقيقة الأمر إنتاج أمريكي نقله من الافتراضية إلى الواقعية لإيجاد مبررات لمحاربة وملاحقة الإرهاب والإرهاب مكانه في العالم العربي تحديدا كمصطلح يهدف إلى التحديد وحل محله الإرهاب كقهوم فضفاض "المفهوم ما يفهم من طرف الناس" من دون أي تحديد فالفلسفي الذي يدافع عن أرضه وعرضه إرهابي والعراقي الذي يموت من أجل تحرير وطنه إرهابي وكل هذا في مقاومة الطالبان في أفغانستان...

هكذا كانت العولمة مصدرا للإرهاب ومصدرا للفوارق الاجتماعية في الدول العربية تحت تأثير الهيمنة الأمريكية التي تتحرك وفق استراتيجية على المدى القريب والبعيد، وفق ترتيبات تجعل من الدول العربية دويلات تقوم بالدفاع المشترك فيما بينها وبين أمريكا في الوقت الذي تسعى فيه شركات الأسلحة الغربية لاحتكار السوق العربية في هذا المجال حيث تم شراء كميات هائلة من الأسلحة لم يتم استعمالها في أي حرب من الحروب هذا بالنسبة للأسلحة القديمة أما الأسلحة الجديدة وخاصة في مجال الطيران الحربي فإنها غالبية التقنية وتحتاج إلى نوع خاص من الطيارين لا يتوفر لدى هذه الدول وحتى وإن وجدوا فقدراتهم غير كافية لاستعمالها استعمالا دقيقا وخاصة أن هذه الطائرات ذات قدرة تدميرية هائلة هكذا يشتري العرب أسلحة لا يستعملونها في شكل إعانات لبعض الشركات التي تكاد تصل حد الإفلاس.

إن العولمة وضعت العالم العربي في موقع الرجل العريض الذي لا يستطيع أن يتحرك في أي اتجاه وخاصة بعد تدمير القدرات العسكرية العراقية واحتلاله بنزيعه أنه يمتلك أسلحة الدمار الشامل التي روحت لها وسائل الإعلام الغربية والتي كانت الأضية الأمريكية تشمل من طرف الإدارة الأمريكية.

وتدمير العراق كان من أهداف العولمة لأن يسمح لها بإعادة ترتيب التوازن الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط والمنطقة العربية تحديدا لصالح قوى خارج المنطقة العربية وهي إيران وتركيا وإسرائيل هذه الأخيرة كانت المنتصر الوحيد والمستفيد الوحيد أيضا لأن أمريكا خاضت الحرب مع العراق من أجل مصالحها ومصالح إسرائيل في المنطقة العربية. هكذا وجد العالم العربي نفسه أمام ترتيبات إقليمية مصالحة له تدفع به دفعا لخدمة مصالح أو أهداف لصالح ترتيبات تزيد من تبعيته وإهانته وتهميش دور في الحياة الدولية ونتيجة لهذا التهميش وهذا

الإحباط تخلى النظام العربي عن القضية الفلسطينية وتخلي عن مقاطعته لإسرائيل وتحول الخطاب السياسي العربي إلى خطاب ينادي بالسلام والاستسلام وينادي بحوار الحضارات الذي وجد فيه الكثير من "التشبيات" للغرب عموما وأمريكا خصوصا في حين أن الطرف الآخر الذي يملك القوة والهيمنة أخذ منظوره خابا آخر ينادي بنهاية التاريخ وبصدام الحضارات حيث لقيت الفكريات الكثير من ردود الفعل في الشرق والغرب.

وكان أول هذه الردود الاقتراح الذي تقدم به للأمم المتحدة السيدة محمد خاتمي رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية وهو أن يكون "عام 2001 عاما لحوار الحضارات عرذ على أطروحة "صدام الحضارات" لصامويل هنتنغتون وقد لقي الاقتراح استحسانا من طرف الدول العربية والإسلامية وبعض الدول الغربية.

وقد نجح عن هذا الاقتراح الكثير من الندوات والمؤتمرات والمحاضرات في جميع أنحاء الوطن العربي وصار "حوار الحضارات" حديث الساعة والمفكرين ورجال الإعلام والبعض من هذه الدول أقامت ندوات ومؤتمرات لحوار الديانات وكان الإنسان العربي من خلال مثقفيه يدرك أهمية الحوار مع الآخر...

إذن فكرة "حوار الحضارات" انطلقت من العالم الإسلامي المهزوم اقتصاديا وسياسيا وحتى اجتماعيا وكان لهذه الفترة الصدى العميق لدى رؤساء وملوك العالم العربي وحوار الحضارات هو أيضا كان إحدى إفرزات العولمة والحوار في حقيقة الأمر لا يكون إلا حولا فرة تعددت حوالها وجهات النظر وللحوار شروط لابد منها يأتي في مقدمتها "الندية" غير الملاحظة التي ينبغي إبرازها وهو أن حوار الحضارات يجري بين من يملكون الفعل والتنفيذ وبين من لا يملكون حتى التصرف في ثروات شعوبهم وبصفة أخرى يجري الحوار بين يملكون القوة والفعل وإصدار الأوامر وبين من ينفقون الأوامر وهل يمكن أن يكون هناك حوار بين من يشعر بمركب التفوق والكمال وبين من يشعر بمركب النقص والضعف اتجاه حاضره ومستقبله. إضافة إلى هذا فالحضارات لا تتحاور بل تتواصل فيما عجز عن تحقيقه إنسان حضارة من الحضارات حققه إنسان حضارة لاحقة هذا يعني أن الحضارة مرتبطة بفعل الإنسان فإنها وجد العقل وجدت الحضارة ويتعبير آخر فإن الحضارة هي الفعل المادي للثقافة والثقافة العربية اليوم عاجزة عن خلق الشروط التي تمكنها من الانتقال من مستوى الثقافة إلى مستوى الحضارة والحضارة كما يرى العلاقة بن خلدون هي "قوة الصانع" التي "ترسخ" باتصال الدولة ورسوخها" وهذا يعني أن الحضارة شيء والثقافة شيء آخر غير أن هناك تبادل تأثير بينهما فيمكن أن تكون هناك ثقافة ولا تكون معها حضارة بالمفهوم الخلدوني.

وعلى ضوء هذا، يمكن أن يكون الحوار بين ثقافات الحضارات وحتى بين الثقافة الواحدة شيء ممكن فهذا ابن رشد يرد على "أبي حامد الغزالي" في كتابه "تهافت التهافت" بفارق زمني قدره ثلاثة قرون كما حاور العرب الثقافة اليونانية بشكل إيجابي وأضافوا إلى هذا الإرث الإنساني الكثير في شتى حقول المعرفة وكان العرب من خلال هذا الحوار الخلاق للثقافة اليونانية والهندية والفارسية حلقة وصل بين حضارات إنسانية عظيمة والحضارة الغربية المعاصرة اليوم وأن الحوار بين الثقافات ممكن والحضارة هو ما نحن فيه وعليان أن نتكيف معها كدراسين لمواطن القوة والضعف في هذه الثقافة التي انتقلت إلى مستوى الحضارة ثم ككسامين فيها بما نبتكره من أساليب في الصناعات وطرق الإبداع الفلسفي والأدبي وبهذا ندخل الحضارة المعاصرة ونستفيد منها دون أن نفقد هويتنا ونتحول إلى شريك يساهم في صنع الحضارة الإنسانية.

والخلاصة أن العولمة ليست كلها شر وليست كلها خير فيها الكثير من الإيجابيات إذا ما عرفنا كيف نتعامل معها بعيدا عن سياسة اليأس الذي غرسها فينا حكاما منذ عصر النهضة حتى الآن وهي إيجابيات من شأنها تسمح لنا بالدخول في حضارة العصر.

× للموضوع إحالات

هكذا كانت العولمة مصدرا للإرهاب ومصدرا للفوارق الاجتماعية في الدول العربية تحت تأثير الهيمنة الأمريكية التي تتحرك وفق استراتيجية على المدى القريب والبعيد.



## ثقافتنا العربية والعولمة الثقافية



د. عبد اللطيف المتعير

● الحديث عن حوار الثقافات ومثله الحديث عن مستقبل مشترك بين البشر من احب الاحاديث واقرئها الى النفس سيما في الزمن الراهن، زمن الحروب المجانية والربح النووي، لكن هذا الحديث لا ينبغي ان يقوم على انقاض الثقافات البشرية الراسخة ولصالح ثقافة الغالب سياسياً واقتصادياً، وهو ما تسعى اليه جاهدة دون كلل أو ملل دولة عضى كان العقلاء يتسمنون عليها بعد انهيار القطبية المنافسة ان تلعب دوراً افضل حماية للعالم من التصدعات والانشقاقات الروحية والمادية ومن خطر المجامع والامراض الفتاكة. وكان هؤلاء العقلاء

يتسمنون على الدولة العظمى ان تتفق المليارات الفلكية في الحفاظ على سلامة الانسان والارض التي يعيش عليها بدلاً عن انفذاها في تحقيق طموحات عشوائية لتحقيق الهيمنة والنفوذ وفي العدوان على ثقافة الآخرين وتخريب معتقداتهم وخصوصياتهم.

ويبدو ان تمنيات العقلاء ذهبت مع الريح وبقيت الدولة العظمى تواصل محاولاتها المستميتة الرامية الى الغاء ملامح التنوع الثقافي العالمي وتدمير الخصوصيات الوطنية للشعوب والعمل على سيادة ثقافة واحدة ربما تكون في محتواها الروحي والاخلاقي افقر من افقر الثقافات الصغيرة التي تعيش على وجه الارض. ورغم ذلك فان هذه الاستماتة على مدى نطاق العولمة الثقافية تمر بحالة تكوص نتيجة المقاومة المتصاعدة للشعوب ذات الثقافات الراسخة واصرارها على التمسك بمقوماتها الثقافية والاحتفاظ بهوياتها الوطنية والقيمة التي تشكل خاصية تاريخها المعرفي والفني وتسجل ضمير مجتمعها ورويتها للانسان والحياة، لكن هذا التكويس المتلاحق الذي تمنى به العولمة الثقافية لا يمنع من ان طغيانها الاعلاني والاعلامي ما يزال يشكل حالة من التحدي الصارخ. وربما تكون قد شرعت في الاجهاز على بعض الثقافات الصغيرة التي لا حصانات دينية أو معرفية تسندنها وتمنع وقوعها صيداً سهلاً للثقافة الطاغية وهو ما قد يجعل ذلك الصيد السهل يفتح الشبهة لابتلاع ثقافات اكثر حضوراً وقدره على المقاومة، الامر الذي يستدعي مزيداً من اليقظة والشعور بالمسؤولية وفي وطننا العربي على وجه الخصوص.

ان وفاقاً غير مكتوب كان قد تم بين الشعوب المتقدمة والشعوب النامية على ان تاخذ الاخيرة ما ينقصها من العلوم المتقدمة باختيارها هي لكن الدول الكبرى ما لبثت ان تراجعت عن هذا الاتفاق وسعت الى احتكار المعرفة وحجب المعلومات وقصرت تداولها فيما بينها، وشرعت اقواها في تسويق ثقافة عالمية ذات مفاهيم ومعتقدات يصعب تعميمها كما يصعب ان تجد قبولاً لدى كل المجتمعات الانسانية، ويصرف النظر عن حسن النية أو سوء النية الدافعة الى تسويق مثل هذه الثقافة الواحدية، فان الرفض الشامل كان نصيبها من كل امم الارض وشعوبها حتى من تلك التي كانت قد وصلت ثقافتها الى درجة من الذبول والانكسار.

ولا جدال في ان ثقافة تتهض على (العقيدة الامريكية) القائمة على الراسمالية اعجز من ان تنجح في الولايات المتحدة الامريكية نفسها ومن ان تسيطر على النزعات الضيقة داخل هذه الدولة العظمى فضلاً عن ان تعبر بها القارات وتطرحها بديلاً لثقافات انسانية ملات الارض وشغلت الزمن وتجزرت في عقول الناس ووجداناتهم. ومهما كان طغيان الآلة الاعلامية التي تتمتع بها هذه الدولة العظمى والوسائل التي تتوسل بها للوصول الى مثل هذه الغاية فانها سنظل عاجزة ومصيرها القفل التريع ان ما احوج الانسان في كل مكان من عالم اليوم الى ان تتنوع ثقافته وتتعدد اتجاهاته الفكرية وتجاربه الابداعية والفنية ولا تكون ظاهرة التفوق المادي العسكري والراسمالي وسيلة لفرص نهج معين على البشرية جمعاء.

وكما يفرض استقلال الشعوب استقلالاً نسبياً في الاقتصاد فان استقلالها الثقافي ينبغي ان يكون اوسع فالثقافة لا تدخل خاتمة الماديات التي تخضع للمنافسة وانما تخضع لقيم ومعايير وطنية وقومية تستمد وجودها من روحها ومن منظومة المعارف والافكار التي تجمع بين ابدانها وتؤكد المشترك والخاص من آداب وفنون وتقاليد ايجابية صاغتها الاجيال عبر حقب زمنية متلاحقة وفي نظام الهيمنة الثقافية من المخاطر ما لا يهدد هذه القيم فحسب بل يهدد الانسان نفسه ويجعل منه فرداً ضائع التكوين فاقد الملامح يعجز عن استيعاب ثقافة الاخر بعد ان يكون قد تخلى عن ثقافته الاصلية.

والمتابع لاشكالية الثقافة العربية مع العولمة الثقافية يلحظ وجود تيارين من انصار هذه الاخيرة: احدهما يرى ان في العولمة مدخلاً لا بأس به الى اكتساب المعارف الجديدة والتمكن من تجاوزه القديم المتخلف، وهي عوة مشبوهة في ثياب توفيقية تعري صغار العقول بالموافقة على الاطاحة التدرجية بثقافتهم لصالح الثقافة المعولمة ان ما يمنع من اكتساب الاساليب الحديثة واستيعاب اشكال الابداع وطرائقه عند الاخر دون التفريط بالهوية الثقافية أو التخلي عن تأكيد الذات القومية، وهذا ما بدأت شعوب كثيرة في الشرق والغرب التركيز عليه منذ بداية العصر الحديث. أما التيار الاخر من انصار العولمة الثقافية فمصنف غريب تخلى مبكراً عن هويته الوطنية وانتماءاته وصار على استعداد لان يروج ثقافة الاخر ويجتهد في مساعدته على فرض هيمنته اللغوية والثقافية ناسياً او متناسياً ما يلحقه هذا الفعل الشنيع من خسار محقق للانسانية باكملها ومن طمس للهويات وتحطيم للتنوع وعبث بالمخزون الثقافي لمجموعة الشعوب والامم التي يتكون منها عالم اليوم.

## الهوية والعولمة: أي تبد؟

محمد عمر سعيد

يجب خلق مسافة بين الانسان وما يراه ويعرض عليه حتى لا يحدث الخلط الذي غالباً ما يتسبب في الانتهاك الى اخذه الجانب الغريزي المضرب بهويته، ويكون للجانب الفطري منه مهمة "مفتاح المرور" فحسب.

لذلك كان من الأجدى طرح إستراتيجية واضحة تهدف إلى خلق نوع من التوازن المرهلي بين الغالب والمغلوب وهو نموذج التفاعل من خلال خيار مفترض مفاده احتواء الانساق الاجتماعية المحلية لتنسيق العولمة الإكراهي الزاحف، من خلال بسط الفعل الاجتماعي الداخلي وفاقاً لنظيره الخارجي (العولمة الإكراهي الزاحف) بفهمه ووعيه، وهذا في إطار إستراتيجية التحول الخصائصية للمجتمعات أي التحول من الخصائص النابعة من مرتكزات تقليدية مثل الاستقلالية والانعزال إلى الخصائص النابعة من ركائز حديثة مثل الانفتاح والمشاركة العالمية، وهذا في موازاة الإستراتيجية التحولية الخارجية التي عملت وتعمل على إبتناجها المعطيات العالمية الراهنة (التكولوجية الثقافية، وثقافة التكنولوجيا) كما يجب التمييز كذلك بين كون التناقض بين شعوب العالم هو من القضايا البديهية للوجود وبين الإكراه الثقافي المار عبر قنوات السياسة، ومن أجل ذلك وجب التخلص أو لا من عقدة الأنا الطاهرة والأخر المشبوه، والتحول إلى اعتبار الفعلية والدافعية المرجح لتحديد الصواب من الخطأ نأياً بالذات عن المساجلات السياسية الناتجة عن التيه الثقافي والروحي للامة.

فالدراسات الأنثروبولوجية (علم الانسان) تعلمنا كيف ان الإيغال في تقصي ثقافات الشعوب تؤدي بنا إلى اكتشاف الذات وهي متشظية الهوية بين اقوام كثيرة بما يزيد أو هام الطهارة والنقاء العرقي والثقافي: فالمسألة ان تكمن في الصيغة المحدثة للتفاعل المتمثلة أو لا بالوسائل التكنولوجية التي تقرب العبيد بسيرة مذهلة،

وثانياً في الهيمنة على تلك الوسائل تقنياً وسياسياً، وارتباط منشأ الوسائل بالهيمنة أي إلى غييش في الرؤية وخلط مفاهيمي انعكس حتى على التصورات الفقهية التي صارت تحرم الوسائل الحديثة مثل التلفزيون والتصوير الفوتوغرافي والموسيقى واعتبارها وسائل شيطانية تنشر الفساد الاخلاقي

من رقص وعري ومجون!!  
وأن النجاة في الآخرة يستتبع الابتعاد عنها.

على أن مبرر تلك التصورات يمكن تفقيمه بأمر واحد هو الفكر الثقافي والفني الذي تعاني منه الثقافة الإسلامية بسبب جمودها وهيمنة التعامل الأحادي الجانب معها سواء من طرف الآخر الذي يضيف عليها أنيا قيمه الخاصة به، أو من الممارسة الثقافية والفنية المغترية في الداخل الإسلامي سواء الاغتراب المكاني حيث الابتذال والمجون أو الاغتراب الزماني حيث الماضيوية وضيق الأفق: وكل هذا توطأ مع غياب الثقافة التي ترفع الوعي والفن الذي يهذب حس الإنسان. فالهوية تبعاً لذلك وبشكل طبيعي ستكون في أحسن الأحوال مترهلة نظر لعدم التزام إنسانها (الذي ينتجها بنفسه كما أسلفنا بأنها متخلقة عبر الزمن) بالقيم الاصلية للمجتمع المسلم وانعدام الإنتاج المادي والثقافي الذي يلامس فطرة الإنسان ويجتهد في احيائها.

اشتكال العولمة اليوم أحد أهم العناصر المكونة للواقع المحلي للمجتمعات، بداية بالتحديث الذي أدخل السيارة والطريق السريع والنقل وغيرها، وصولاً إلى انتشار الإعلام التلفزي (الفضايات) بصورة كبيرة والإعلام السيبري (الانترنت) بشكل أقل. فالإنسان في مجتمع ما بعد الحضارة وهو في حالة غياب الوعي (وهو وضع التخلف) لا يستطيع التمييز بين ما يجب معرفته (مثلاً مشاهدة الأفلام للتعرف على الآخر وقيمه) وبين ما يجب الحصول عليه (من قيم يشاهدها في الأفلام هو في حاجة إليها) يجب التمييز كذلك بين كون المتناقص بين شعوب العالم هو من القضايا البديهية للوجود وبين الإكراه الثقافي المار عبر قنوات السياسة، ومن أجل ذلك وجب التخلص أو لا من عقدة الأنا الطاهرة والأخر المشبوه، والتحول إلى اعتبار الفعلية والدافعية المرجح لتحديد الصواب من الخطأ

● يرى الأنثروبولوجي الفرنسي جون بيار فارتنيه في كتابه "ثقافة العولمة" أن المشكال الحديث للثقافات في العالم متعدد الأقطاب حيث نجد أن إحدى عادات شعب معين موجودة لدى شعب آخر هو بعيد عنه جغرافياً و أيضاً بعيد عنه ثقافياً وحضارياً: بما يشير إلى أن السيطرة ليست وحدها هي التي تفرض أنماط ثقافية مهيمنة على أخرى ضعيفة ولكن الأصل هو التنوع، إذ بذلك نجد أن الشعب الواحد يستمد هويته من عدة ثقافات تشكل في الأخير نسقه الثقافي الخاص به.

فالحديث عن الهوية ومحاولة تحديدها لا يجب أن ينطلق من مجرد رؤية وتصور ذهني نظري، إذ الهوية تعين واقعي يحياها الإنسان لمجرد كونه إنساناً يعيش ضمن إطار تاريخي معين، كما أن الهوية ليست جامدة بل هي متحولة ومتغيرة تتخلق في الزمان والمكان باستمرار وبأشكال متعددة لا يمكن تحديدها نظرياً إلا بعد تحققها العملي واقعي: ومن هنا فإن تحديد الهوية نظرياً بالمقابل ليست ترفاً فكرياً بل هي حاجة اجتماعية واقعية تحتمها الشروط التاريخية التي تتطلب "وعي الذات" بمعنى انفتاح الإدراك على مكونات الذات الاجتماعية التي تميزه عن غيره انطلاقاً من نسبية المعرفة والسلوك التي تميز الوجود عامة والإنسان بشكل أخص، وهي نسبية منفتحة على الزمان والمكان.

و بالمقابل تشكل العولمة اليوم أحد أهم العناصر المكونة للواقع المحلي للمجتمعات، بداية بالتحديث الذي أدخل السيارة والطريق السريع والنقل وغيرها، وصولاً إلى انتشار الإعلام التلفزي (الفضايات) بصورة كبيرة والإعلام السيبري (الانترنت) بشكل أقل، ومنه فإن الهويات المحلية لا يمكن لها أن تعبر عن نفسها وهي مستقلة عن (العولمة) حتى وإن توهيبت ذلك، وهذا لأن من خصائص العولمة الارتفاع الذي يجعل المرء لا ينتبه إلا وهو متوثق ضمنها بصورة لا يمكنه الفكاك عنها. فالعولمة ليست شعاراً للنتباهي أو لتخويف الناس منه قصد اكتساب نوع من السلطة الوهمية على الناس بالجعل ممن يتحدث عنها مرجعية مهيمنة لها القدرة على صياغة الوضع والتأثير فيه، فلم تكن هناك عولمة لكنا أول الداعين إلى التحلي عن وهما، لكن الوهم الحقيقي هي تلك الصورة الأحادية التي يحملها معظم الناس عنها فاما عرؤف تام عنها وإما تلهف وراء ما يبدو أنه إيجابيات مادية لها، لكن الأمر عدا ذلك تماماً، كما أنه أيضاً ليس نزوع نحو رؤية الإيجابيات واستغلالها والسلبيات وتجنبها وفق رؤية تبسيطية سطحية، إلا أن أهم ما يجب فعله أمام هذه الظاهرة الجديدة في مظهرها القديمة في جوهرها، هو القيام بالجهد المعرفي والروحي قصد فهم ألياتها ووعي تأثيراتها، وأعتقد أن هذا الجهد المطلوب هو ما يجب أن تتفق فيه الجهود والأوقات المتكاثفة أداء للمهمة التاريخية والواجب الحضاري.

وبالمقابل فإن كون تحديث واعلمة (من المعلوماية) المجتمعات المحلية ليس متحرراً من الهيمنة الأيديولوجية للاقوياء (الدول المتقدمة وعلى رأسها أمريكا)، وهي الهيمنة التي تأتي إكراهاً ورغم ما عن إرادة الشعوب و عن خصوصياتها الاجتماعية سواء كان ذلك عن طريق التحديث أو الإعلام والسياسة، وما نعتيه بالإكراه هنا هو ليس فقط الضغوط التي تمارس على حكومات الدول على وروده وإمكانيتها، فالإكراه هو ما يتم إحداثه من توطأ بين حاجة الإنسان الفطرية (الأكل الشرب الملابس...) وورغياته الغريزية (وتعني بها الجنس التعصب حب الموال...).

فالإنسان في مجتمع ما بعد الحضارة وهو في حالة غياب الوعي (وهو وضع التخلف) لا يستطيع التمييز بين ما يجب معرفته (مثلاً مشاهدة الأفلام للتعرف على الآخر وقيمه) وبين ما يجب الحصول عليه (من قيم يشاهدها في الأفلام هو في حاجة إليها). فبينا تطرح قضية "وعي الذات" نفسها كأولى الأولويات الإستراتيجية في المجتمعات: وهنا كذلك



# لا هوية دون ديمقراطية وعقلانية

عبد الكريم تشرقيت

● غالبا ما يضع المفكرون في العالم الإسلامي والعربي الإنفتاح على الغرب كأحد العوامل الأساسية الداعية للخوف على هويتها من التآثر بمظاهر الحياة الغربية المختلفة عن حياتنا من حيث الدين والأخلاق والعادات والتقاليد. ولكن الآن لا سبيل لنا لوقف هذا الإنفتاح فالعولمة ووسائل الاتصال الجديدة حولت العالم الى قرية صغيرة يفعل ووسائل مثل الانترنت والقنوات الفضائية ... فكيف يمكننا الدفاع عن هويتنا ؟

يقول ميشال انولا وهو أستاذ في مركز تكوين الصحفيين بباريس في كتابه "الوسائط المتعددة، وتطبيقاتها في الإعلام والثقافة والتربية" ترجمة الدكتورين نصر الدين العياشي ورايح صادق بأن "السيطرة على الإعلام تمثل رهانات حقيقية ... وهذا ما يجعل في توسيع الهوية بين الدول الثرية والدول الفقيرة" ويعطي مثلا على ذلك من خلال العدد "فن بين الشركات الأولى في مجال الإعلام، والتي يبلغ عددها 300 شركة، توجد 144 شركة أمريكية، و80 شركة تابعة لأوروبا الغربية، و49 شركة يابانية. ويقدر بأن سبع أو ثمانية شركات كبرى تسيطر على ما بين 65 و70 بالمائة من السوق العالمي".

## حتى أوروبا تعاني ..

يذهب الخبراء والمراقبون الى التأكيد بأن أوروبا تعاني من جراء تدفق المنتوجات الإعلامية القادمة من اليابان وأمريكا، ويبدو ذلك من حيث المحتويات الثقافية والعلمية التي تحملها الأجهزة الالكترونية المسوقة لها من أقراص مدمجة وبرامج الأطفال والمسلسلات التلفزيونية وأفلام السينما ...

وإذا كان هذا حال الدول الأوروبية فإن الهوية تبدو شاسعة بالنسبة للدول العربية التي يظهر أنها أكثر معاناة، فعدد الشركات في مجال الاعلام الذي تملكه الدول العربية قليل جدا، كما أن حجم الوسائط المتعددة الجديدة للاتصال التي تتوفر عليها الدول العربية ضئيل مقارنة مع حجمها في الدول الأوروبية فما بالك بدول مثل أمريكا واليابان. فإذا كانت أوروبا تعاني من الزحف الأمريكي والياباني اللذان أترا على ثقافتها وهويتها فإن

حجم هذا التأثير كبير بالنسبة للدول العربية التي تواجه تحديات متعددة يمكن اختصارها في عاملين اثنين حسب المختص في السياسة المقارنة الأستاذ يوسف مكي: "الأول يتعلق بالموثريات والتي تعني الخصائص الدينية والتاريخية واللغوية والنفسية. والثاني يخص تفاعل الأمة مع وضع عالمي فوار متغير، يفرز موجات ثقافية متعددة ونماذج حضارية مختلفة وهذا ينتج عنه ردود أفعال ذاتية تفرس التعامل بخصوصية مع تلك التقاليد، مانحة إياها هوية جديدة".

أي أن عملية التدفق والتأثير المستمر والمتواصل يهبط المجتمعات المانعة وتصبح غير قادرة على المقاومة وفي ظل غياب البدائل الوطنية تبثتد عن هويتها الأصلية وتكتسب هوية أخرى ناتجة من ما تم اكتسابه من العولمة. وبالتالي تصبح هذه المجتمعات تعيش بهوية غير هويتها وتتسلخ عن واقفها وعاداتها وتقاليدها ومورثها الثقافي وحتى عن دينها ... وبهذا تصبح المجتمعات المعنية تعيش

حالة اغتراب بدون هوية. بحيث أن الهوية الأصلية لا تعوض مثلما يقول الأستاذ أحمد الزعابي، فهي "الرسالة التي تقدمها الأمة للعالم، وهي تعني العنوان والتعريف الذي لا يتأثر بمتغيرات الأزمان والعصور، والهوية تعني الثوابت التي يجب أن تحافظ عليها الأمة كي لا تذوب بين الأمم، وتعني ما تعيش الأمة لأجله وتثمر لأجله وتضحي لأجله". ويصل هذا الباحث العربي الى التأكيد بأن "هوية الأمة هي إيمانها بدينها ومقدساتها ولغتها وقيمها وأخلاقها ونظم علاقاتها الاجتماعية الداخلية ورموزها وقوتها ومعالم حضارتها". من هذا التعريف نستنتج أن العولمة بما فيها العولمة والتدفق الإعلامي نحو العالم العربي تشكل أحد التحديات في الحاضر والمستقبل لشعوبنا العربية

## الطريق الثالث

قضية التآثر بما ينتجه الغرب قائمة، وبرأيي ينبغي تجاوز وصفها بالغزو الثقافي أو الابتلاع أو الاستلاب أو القابلية للاستعمار بل ينبغي التركيز على إيجاد حلول استعجالية لها. فمن المفروض تحطى الجدول القائم حول الأخذ بأحد الموقنين القائمين وهما إما الرفض والإنغلاق أو القبول والإنفتاح. والبحث عن طريق ثالث يكون قائما على الحفاظ على هويتنا وفي نفس الوقت الإنفتاح على الآخرين بطريقة منظمة ومدرسة. وفي هذا

السياق يقول المفكر محمد عبد الجابري "نحن في حاجة الى التحديث كفاعلين مساهمين ولكن في حاجة الى مقاومة الاختراق وحماية هويتنا وخصوصيتنا الثقافية من الانحلال والتلاشي". ان يضيف الجابري "ان حاجتنا للدفاع عن هويتنا الثقافية لا تقل عن حاجتنا الى اكتساب الأسس والأدوات التي لا بد منها لدخول عصر العلم والتقنية، وفي مقدمتها العقلانية والديمقراطية".

الواضح أن هذين العنصرين المهمين في العملية فتقدمها معظم الدول العربية ان لم نقل كلها فتعتمد الوسائط الاتصالية بما فيها القنوات الفضائية العربية لم تات في مجملها بالنتائج المرجوة حيث لم تستطع هذه القنوات أن توقف التدفق الغربي والتأثير على الهوية كونها

لم تتميز بالعقلانية ولم تتحسس الديمقراطية. فبرامج هذه القنوات في معظمها صورة طلق الأصل للبرامج الغربية وبالتالي فانها لن تدافع عن الهوية العربية الاسلامية بل انها تساهم في تكريس النظرة الغربية عن طريق الحصص الترفيهية والموسيقية الغربية، الناطقة بالعربية والتي تكون منسوخة حرفيا عن القنوات الغربية ويرجع هذا نظرا لضعف الدولة النظر عن هذه القنوات بدعوى الإنفتاح والتعددية الإعلامية وفتح المجال للسعي البصري ولكن في غير المجالات السياسية التي مازالت حكرا على الدولة، وهنا يظهر غياب الديمقراطية، فلو سادت الديمقراطية لما سادت مثل هذه القنوات التي تحمل طابع الإلهاء أكثر من أي شيء آخر. ويربرز عدم وجود العقلانية من خلال عدم مراقبة الدولة لهذه القنوات وتركها فريسة للعالم التجاري حيث أن أصحابها لم يأخذوا بعين الاعتبار الموروثات والوعامل الأخلاقية والاجتماعية والثقافية والعقائدية للمجتمعات العربية.

## تأملات في الإسلام والعولمة

# الليبرالية تجدد ذاتها.. والعرب يستهلكون نماذجها القديمة

● إذا كان اقتران (الإسلام والعولمة) يكشف عن مسارين تاريخيين متميزين للنا والآخر، نحن والغرب فما هي طبيعة اللحظة الراهنة التي يلتقي فيها هذان المساران؟ ما هو الموقف الحضاري الذي تعيش فيه الأنا في علاقتها مع الآخر حتى تصبح (واو) العطف بينهما صيرورة تاريخية وليس مجرد ربط بين جوهرين ثابتين؟

إن الأنا الآن تعيش في مثلث متساوي الأضلاع أقرب إلي السجح المثلث الزوايا أو إلي القيد في المعصمين والقدمين، تعيش حالة من الحصار في الزمن، بين الماضي والحاضر والمستقبل. تتحرك في المكان لشدة الحصار. وهي ثلاث معارك متزامنة حتى لا تفقد قيدا وتقع في قيد آخر، وتستبدل سيدا بسيد، وتختلف القيود الثلاثة في العمق التاريخي والارتفاع البراسي، فبينما القيد الأول، وهو التراث القديم أكثر عمقا في التاريخ، أربعة عشر قرنا أو يزيد فإن القيد الثاني التراث الغربي أقل منه، قرنين من الزمان منذ صدمة الحدائة مع الغرب، والقيد الثالث أقل من القيدين الأولين لأنه الحاضر الذي لا يعيشه احد. يتمرد عليه علنا أو يتسلل إليه أو يأتيه من أسفل سرا أو يهاجر منه قطعة.

الأول أكثر حضورا لدي الجماهير، والثاني لدي النخبة، والثالث ليس حاضرا في ذهن أحد لأنه يدفع إلي الفرار والنسيان. الأول نص قديم، والثاني نص حديث، والثالث واقع اليهم لم يتحول بعد إلي نص والمطلوب كتابته، هذا هو حصار الزمن بين الماضي والمستقبل والحاضر الذي لم تستطع الذات العربية حتى الآن الفكك منه، وإن كانت الخلطة قد بدأت منذ فجر النهضة العربية الحديثة حتى أدمت المعصمين والقدمين.

## التراث القديم

الحاجز الأول التراث القديم الذي تحول إلي مخزون نفسي عند الجماهير من خلال الثقافة الشعبية. نشأ في عصر الانتصار ونحن الآن في عصر الهزيمة، في عصر الفتوحات ونحن الآن في عصر الانتسارات. وربما أحد أسباب انتكاسات النهضة العربية وهزائم الأمة المتتالية هو أننا نحارب باليدن من دون الروح، باليد وليس بالعقل، بالسلاح وليس بالثقافة. ولا يقوي البدن إلا بسلامة الروح. والروح في حاجة إلي إعادة بناء. هم رجال ونحن رجال، نتعلم منهم ولا نقدي بهم. والاجتهاد أصل من أصول التشريع، والتقليد ليس مصدرا من مصادر العلم. إعادة بناء الموروث القديم طبقا لظروف العصر، وإعادة الاختيار بين البدائل القديمة، وإبداع بدائل جديدة إذا صعب السؤال وعظمت المواجهة. ففي الكلام يتم التحول (من العقيدة إلي الثورة)، وفي علوم الحكمة (من النقل إلي الإبداع)، وفي علم أصول الفقه (من النص إلي الواقع)، وفي علوم النصف (من الفناء إلي البقاء)، وفي العلوم النقلية (من النقل إلي العقل)، في علوم القرآن (من الوحي إلي التاريخ)، وفي علوم الحديث (من نقد السند إلي نقد المتن)، وفي علوم التفسير (من التفسير الطولي إلي التفسير الموضوعي)، وفي علوم السيرة (من الشخص إلي المبدأ)، وفي علوم الفقه (من فقه العبادات إلي فقه المعاملات). بهذه الطريقة يتم التحول من العصر الذهبي الأول للحضارة الإسلامية إلي العصر الذهبي الثاني، وبدلا من أن تصبح الذات عبدا للقديم تصبح سيدا له.

## التبعية لغرب

والقيد الثاني الانبهار بالغرب والتبعية له واعتباره نمطا أوحد للتحديث، نموذجا للثقافة العالمية، تجربة يحتذى بها، ولا داعي لتكرار ما جربه الغرب، وضرورة اختصار الزمن والحقا بالقرن العشرين، والقطعة مع الماضي والاقتران بالمستقبل، فيزداد تعريب النخبة ويحدث رد فعل طبيعي في محافظة الجماهير فداعا عن الهوية، ومنذ فجر النهضة العربية منذ قرنين من الزمان والنموذج الليبرالي الغربي ما زال حادا في تياراته الفكرية الثلاثة: الإصلاحية الذي يبدأ من الدين، والعلمي العلماني الذي يبدأ من الطبيعية والمجتمع، والليبرالي الذي يبدأ من الدولة. البداية مختلفة والنتيجة واحدة، بل إن المدارس الفكرية التي حاولت الجمع بين الموروث والوافت أخذت المنهج أو المذهب من الوافت والموضوع من الموروث، الروح من الوافت والبدن من الموروث مثل المثالية المعتدلة (الطويل)، والجوانية (عثمان أمين)، والشخصانية الإسلامية (لحيايي)، والماركسية العربية (العروي)، والانسانية والوجودية (بدوي)، وهي لعبة المرأة المزوجة التي بدأت منذ الطهطاوي في (تحليل الأبريز) رؤية الأنا في مرآة الآخر، والآخر في مرآة الأنا. وهي ما زالت مستمرة بالرغم من التباعد بين الوافت والموروث في عصر الاستقطاب الثقافي. والسؤال هو: هل يمكن التحرر كلية من هذا القيد وتحويل الغرب في وعينا الثقافي والعلمي من كونه مصدرا للعلم كي يصبح موضوعا للعلم، وأن يقضي على أسطورة الثقافة العالمية، وأن تنتهي عقدة النقص لدينا منه وعقدة العظمة فيه علينا، وأن نصف تاريخيته، بداية ونهايته، تكوينه وبنيته، ثقافته وعقليته فيما يمكن تسميته (علم الاستغراب) عندما يتحول الغرب إلي موضوع ونحن إلي ذات كما حولنا الغرب إلي موضوع وهو ذات في علم الاستشراق، وأن يصبح الملاحظ ملاحظا، وهو الأنا، والملاحظ ملاحظا وهو الغرب، تبادل لا لاودار وربما صراعا للقوي من خلال علاقة الذات العارفة بموضوع المعرفة، اكتمالا لحركة التحرر العربي علي المستوى الحضاري؟

## الحاضر ممر من الماضي إلي المستقبل

والقيد الثالث هو الحاضر، الواقع الذي نعيش فيه، وكيفية تنظيره وتظهيره مباشرة، وإدراك الموروث القديم المخزون فيه من أعماق التاريخ، والوافت الغربي الحديث الذي تلقاه منذ فجر النهضة العربية، كيف يتفاعل فيه من أجل فهمه وتغييره فالحاضر هو الممر من الماضي إلي المستقبل. يحط الماضي فيه وينطلق المستقبل منه، وهو الأساس الذي يبني عليه القديم والحديث علي حد سواء لكد شفرته والاقبال من موانع تقدمه ودوافع تطوره. يتحول الواقع إلي نص جديد وإلي ميدان للفعل. كيف يمكن الدخول في الواقع من دون الهروب منه تحت الأرض أو الهروب منه خارج الأرض والتمرد عليه أو الانخراط فيه فوق الأرض، كيف تصاعق أولوياته وقضاياه، تحرير الأرض، تحرير المواطن، العدالة الاجتماعية، وحدة الأمة، التنمية المستقلة، الدفاع عن الهوية، وحشد الجماهير، وإبداع فلسفة الأرض وثقافة التحرر، وفقه العدالة الاجتماعية، وأصول وحدة الأمة، وحديث التنمية المستقلة، وتوحيد الهوية، وتصوف ثورة الجماهير.

لم التقليد من دون الإبداع؟ ولا فرق بين تقليد السلفيين ونقل العلمانيين إنما الخلاف في جهة النقل والتقليد، القدماء أم المحدثون. كلاهما أصولي يهرب من الحاضر وينزع إلي الماضي أو إلي المستقبل. كلاهما يحارب بعضه بعضا، كل فريق يعتبر نفسه الفرقة الناجية، المخلص والإمام والمهدي المنتظر. كلاهما يقول بالحاكمية، حاكمية الله أو حاكمية الأيديولوجية، ليبرالية أو قومية أو ماركسية. والمفاتيح السحرية لا وجود لها، وإن وجدت ليس بيد أحد.

إنما هو الاجتهاد، سير الوعي التاريخي وتحقيب مساره، وتحديد أعماقه نقاء الضمير والطهارة التورية، الإخلاص للنفس، والوعي بالعالم، (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم).



د. حسن حنطي

# العرب والعولمة: ضرورات بناء ثقافة جديدة

لا خلاف على اعتبار العولمة محطة متقدمة للنظام الرأسمالي، الذي توافرت له عدة ظروف لبسط نفوذه على الصعيد الدولي، من أهمها تفكك المعسكر الاشتراكي والانهيال المدوي للاتحاد السوفياتي. وسمح ذلك لمنظري الليبرالية الجديدة وحلفائهم السياسيين والشركات المتعددة الجنسية بتشغيل كل الآليات وممارسة كل الضغوط في سبيل كسر مختلف الحواجز أمام البضائع وحركة رأس المال، وإدماج جميع الأسواق في سوق واحدة.

## العرب بين الفرصة والضباب

إذا انتقلنا إلى الدائرة العربية الإسلامية فإن العولمة يمكن أن تضعنا أمام مصير غير واضح ولا آمن، وذلك إذا أسأنا التعامل مع تداعياتها السلبية أو الإيجابية. فشعوب هذه المنطقة، وحتى قطاعات عريضة من نخبتها، لم تتمكن حتى الآن من ملاحقة التحولات الجارية، ما جعلها غير قادرة على إنجاز أية نقلة نوعية في أي مجال من المجالات سواء الاقتصادية أو السياسية أو الثقافية. كل الجبهات منهارة وجميع مقومات الأمة مهزوزة. الأكد أن العولمة ليست شرا كله، فهي في بعض جوانبها قد توفر فرصة لإعادة هيكلة أوضاع المنطقة على أسس مختلفة.

ويمكن في هذا السياق الإشارة بسرعة إلى بعض الجوانب ذات الصلة بالمجال الفكري والثقافي:

– كسرت العولمة التكنولوجية احتكار الدولة للاتصال والإعلام، إذ بقيت دول عربية قليلة تواصل بذل جهود جبارة في محاولات قد تكون الأخيرة لمقاومة الحق في المعلومة والإعلام.

– أنهت العولمة حال التماهي والتطابق بين الدولة والنظام الحاكم والمجتمع والسيادة. وعلى رغم استمرار التفتت ومحاولات تزييف إرادة المجتمعات، فإن التعددية السياسية والفكرية لم تعد جريمة يحاكم عليها مرتكبوها بالإعدام وعشرات السنين من الاعتقال. لا يعني ذلك أن السجون العربية خلت من سجناء الرأي، لكن بقاء هؤلاء أصبح يعتبر في مقاييس التنمية الحديثة عاملا من عوامل القبح في سلامة "الحكم الرشيد".

– إعادة الاعتبار للثقافة في مرحلة قد يكون فيها الإبداع الثقافي الإضافة الوحيدة التي يمكن أن تميز مساهمة المنطقة في المشهد العالمي الراهن الذي يفترس أن تلعب فيه الجوانب الرمزية والقيمية دورا مهما في المستقبل، وخصوصا لدى الداعين إلى عولمة بديلة يكون الإنسان محوراً وهدفها.

## نحو ثقافة عربية إسلامية إنسانية

كل ذلك يقتضي من العرب والمسلمين بناء خصوصية منفتحة وفاعلة. خصوصية تتمتع بديناميكية ذاتية تعيد قراءة التراث وصوغ الثقافة الشعبية، وتغير علاقة الأنظمة والأحزاب بالدين والقيم الدينية، وتؤسس لمصالحة تاريخية بين قيم الفرد والمجموعة وبين اللحظة العالمية الراهنة. ولكي تكون هذه الثقافة فاعلة وقادرة على الإنخراط في الحركة العالمية المناهضة لسلبيات العولمة، يجب أن تكون ثقافة إنسانية في مضامينها وقيمتها، تعتمد مرجعية حقوق الإنسان، وتقطع مع التقسيم التقليدي للعالم الذي كان قائما على المعتقد الديني للأفراد والشعوب، وتحتاز إلى الجبهة العالمية المؤمنة بالحرية والعدل والمساواة، والرافضة للتعصب والإقصاء والاستعمار والهيمنة. الإشكال الذي لا مفر لحسمه قريبا يتمثل في كيفية تحويل الدين والثقافة – اللذين لا يعنيان شيئا واحدا

– إلى جزء من الحل الإنساني الواعد بإمكانيات تغيير العالم وبناء مستقبل أفضل؟ فالعرب والمسلمون مدعوون إلى تأسيس ثقافة جديدة، ليس ذلك استجابة فقط لاحتياجات محلية، وإنما ضمن مسعى مشترك مع شعوب كثيرة في العالم تواجه تحديات متقاربة.

– تهديد عدد من الثقافات – ومن بينها الثقافة العربية الإسلامية – بالإنقراض عبر محاصرة لغاتها وإفكار العمق التاريخي لأصحابها وتقويض أنماط إنتاجها وتحجيف قيمها الذاتية، والقضاء على صناعاتها الثقافية وأدوات رواجها وتدمير أسواقها وتغيير أنواق جماهيرها.

– تنمية نزعات المقاومة للعولمة وثقافتها، وذلك عبر أشكال متعددة، من بينها أشكال غير



ناضجة وبأشياء، كان يلجأ أصحابها إلى العزلة القتالة أو اللجوء إلى العنف والإرهاب اللذين يعزبان حال الاحتقان والتوتر على الصعيدين المحلي والدولي من دون التوصل إلى حل القضايا المطروحة. بل على العكس من ذلك يعطي هؤلاء مبررات إضافية للقوى المستفيدة من النمط الحالي للعولمة لتستعمل أسلحتها وقدراتها التدميرية حتى تحكم سيطرتها وتحقق مختلف أهدافها. ويعتبر ما أقدم عليه تنظيم القاعدة، مثلا قويا في هذا السياق. فتجبر عمارتين أهلتين بالمدنيين كلفت – ولا تزال – العرب والمسلمين ثمنا باهظا، ومكنت الاستراتيجيين الأميركيين من ضرب عصافير كثيرة بحجر واحد.

– تسريع الهيمنة بالجوء إلى الحرب كإداة للحسم والإدماج، وهو ما أصبح يطلق عليه "عسكرة العولمة". فما يجري منذ 11 سبتمبر/ أيلول 2001 تجاوز طابعه العسكري والاقتصادي، إذ تعمل الإدارة الأميركية على فرض تغييرات سياسية وتعليمية ودينية وثقافية، ما يهدد بتوسيع رقعة الصراع والفوضى التي قد تشمل مناطق كثيرة في العالم إذا ما استمرت أميركا في تنفيذ مخطتها للسيطرة على العالم.

التعددية الثقافية معركة حقيقية لها أكثر من مغزى وأهمية.

## عندما ينتصر التاريخ يتوقف

إن تبعية الثقافة للتجارة ليس في نهاية التحليل إلا ترجمة عملية للمنطق الذي يجعل القيمة العليا في الحياة هي الربح، وعندما تصبح قوانين السوق هي المحددة لبقية القيم فإن البشرية تكون مهددة ومعرضة لانقلابات خطيرة على مختلف الأصعدة

## صلاح الدين الجورشي

● سوق مفتوحة، تخضع لقوانين تبدو موحدة، وتروج لسلع محكومة بمقاييس أيضا شبيهة موحدة وإن كان واضعها هم الأقوى اقتصاديا.

من هذه الزاوية تعتبر العولمة حركة اقتصادية تسعى إلى السيطرة والربح واقتحام الأسواق المحلية والقضاء على النزعات الحمائية، وخصوصا لدى دول الجنوب من أجل تحقيق الهيمنة المطلقة لأطراف النظام الرأسمالي. لكن مخلا لظاهرة أكثر تعقيدا، وطمسا لجوانب أخرى لا تقل أهمية وخطورة. إنها منظومة ذات طابع شمولي، لا تميز بين الاقتصاد والسياسة والاجتماع والثقافة. وبما أن أنظمتنا السياسية ومجتمعاتنا أيضا تعودنا على إهمال الثقافة وتهميشها، فإنه يخشى أن يقع إسقاط العامل الثقافي في عملية التعاطي مع العولمة، وهو ما من شأنه أن يفاقم عدم الفهم ويضاف من عجز الجماعي عن مواجهتها أو الحد من تداعياتها السلبية.

## كيف يبدو ذلك؟

من يتابع النسق السريع لانتشار مظاهر العولمة يلاحظ ما أشار إليه برهان غليون من "ميل لا نه نحو توحيد الوعي وتوحيد القيم وتوحيد طرائق السلوك وأنماط الإنتاج والاستهلاك". والحقيقة أن هذا النزوع نحو تنميط الحياة الإنسانية ليس وليد الحقبة الأخيرة من القرن 21. لقد بدأت تلك المحاولة منذ ولادة النظام الرأسمالي وانطلاقه نحو البحث عن أسواق خارج حدود أوروبا واللجوء إلى استعمار الشعوب والبلدان. فترويج بضاعة يستوجب تكيف أنواق الزبائن وخلق حاجيات استهلاكية جديدة لديهم. لكن مع الانقلاب الذي حصل في تكنولوجيا الاتصال، وكذلك التغيرات "الغات" وتقيام المنظمة العالمية للتجارة التي ولدت من أجل فتح الأسواق، تسارعت وتيرة الإدماج الثقافي في خط مواز للإدماج الاقتصادي ومكمل له. ويقدر ما يبدو الأمر طبيعيا و"حسما" فإن آثاره وانعكاساته على المجتمعات والتوازنات الحضارية تكون خطيرة ومهددة للاستقرار والتعايش. ومع ذلك فإن هذه التداعيات الخطيرة لم تخضع في المجتمعات العربية والإسلامية إلى الدراسة الدقيقة.

## الأقوى هو المحدد

بما أن كل المسائل مرتبطة بموازين القوى، فإن عملية التنميط الجارية على قدم وساق، المحدد فيها هو النموذج الأميركي باعتباره النموذج المتفوق في مختلف المجالات الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية، ومن هنا أصبح الحديث عن التماهي أو التماثل بين مصطلحي "العولمة" و"الأمركة"، ومن هنا أيضا وجدت أوروبا نفسها معنية بالبحث عن مواجهة خطر التنميط الثقافي الذي يهدد ثقافتها ولغاتها المتعددة وتراثها. وتكفي الإشارة إلى الجهود التي تبذلها فرنسا من أجل حماية إنتاجها الثقافي عن طريق القوانين الحمائية الحازمة التي تفرضها على مؤسساتها حتى تحد من طغيان الانتاج الثقافي الأميركي. كما أن فرنسا تدير المعركة نفسها على صعيد آخر وهو المنظمة الفركتونية التي اتخذت في الفترة الأخيرة من

الذاتية والعائلية والمجتمعية. فالذين تحدثوا عن "نهاية التاريخ" أو "صدام الحضارات" كانوا غير منطقيين ومتجاوزين تماما مع المنعرج الذي اتخذوه مسارا للعولمة، إذ إن التاريخ يتوقف فعلا عندما تتوقف حركة العطاء ويصبح الإنسان سجين الدائرة المغلقة: "يعيش ليستهلك ويستهلك ليعيش"

يتوقف التاريخ، فالتاريخ الإنساني يتواصل ويتحرك بفضل قانون الاحتفاظ والتجاوز، وهو قانون يفترض الاختلاف والتنوع والبحث المستمر عن نموذج أو نماذج مغايرة تكون أفضل وأرقى. أما سياسة التنميط القسري فهي تؤدي بالضرورة إلى الصراع من أجل البقاء الثقافي.

## بعض تداعيات العولمة

في ضوء المقدمات السابقة، وعلى رغم عدد من النتائج الإيجابية التي لا يمكن نكرانها، إلا أن الطبيعة الراهنة لمسار العولمة كما تشكلت حاليا ستؤدي بالضرورة إلى نتائج سلبية وخطيرة من بينها:

## إذا انتقلنا إلى الدائرة

## العربية الإسلامية فإن

## العولمة يمكن أن تضعنا

## أمام مصير غير واضح

## ولا آمن، وذلك إذا أسأنا

## التعامل مع تداعياتها

## السلبية أو الإيجابية.

## فشعوب هذه المنطقة،

## وحتى قطاعات عريضة

## من نخبتها، لم تتمكن

## حتى الآن من ملاحقة

## التحولات الجارية، ما

## جعلها غير قادرة على

## إنجاز أية نقلة نوعية في

## أي مجال من المجالات

## سواء الاقتصادية أو

## السياسية أو الثقافية.